خطبة صلاة الجمعة 23/ 6/ 2017 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(آليات لتدبر القرآن)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9].

وقال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21].

عن علي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَلاَ إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ»، فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ الله، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ الله، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن:1]، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ». [الترمذي والبيهقي].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» [مالك].

أيها الإخوة:

(الصيام والقرآن يشفعان) عنوان خطب رمضان لهذا العام كان عنوان الخطبة الأولى (صور من تدبر القرآن) والثانية (معينات على تدبر القرآن) والثالثة (معيقات عن تدبر القرآن).

وعنوان خطبة اليوم (**آليات لتدبر القرآن**).

الهدف من هذه الخطب أن ننطلق جميعا لنتحلق حول القرآن، نعتصم به ونتمسك بأوامره ونواهيه، نحل حلاله ونحرم حرامه، نحفظه ونحفظه أبناءنا، نتلوه ونجوده ونرتله، نعيش معه وبه وله.

سبق -أيها الإخوة- أن التَّدَبُّرُ: هُوَ النَّظَرُ فِي إِدْبَارِ الْأُمُورِ وَعَوَاقِبِهَا، وَتَدَبُّرُ الْكَلَامِ هُوَ النَّظَرُ وَالتَّفَكُّرُ فِي غَايَاتِهِ وَمَقَاصِدِهِ الَّتِي يَرْمِي إِلَيْهَا، وَعَاقِبَةِ الْعَامِلِ بِهِ وَالْمُخَالِفِ لَهُ. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29]

والمعنى – والله أعلم – : أن المطلوب من قارئ القرآن أن يفهم الكلمة القرآنية ثم يفهم المعنى المراد من الآية أو الآيات ثم يعرض نفسه على ما قال القرآن لينظر هل عمل به أو لم يعمل ثم يحمل نفسه على فعل المأمورات وترك المنهيات.

وسبق ثلاثة معينات على تدبر القرآن: قلب طاهر وعقل حاضر واستشعار عظمة منزل القرآن.

وثلاثة معيقات عن تدبر القرآن الكريم: الذنوب والمعاصي من دون توبة، الانشغال عن القرآن بغيره حين تلاوته وسماعه، عدم إرادة التدبر.

وأضع بين أيديكم في خطبة اليوم ثلاث آليات عملية تساعدك في تدبر القرآن:

الكلمة في القرآن، والموضوع في القرآن، وسورة من القرآن.

فأما **الكلمة في القرآن**: فيمكنك أن تبحث عن كلمة تختارها من القرآن الكريم، كلما مرت بك أو واحد من اشتقاقاتها علّمت على مصحفك، حتى إذا انتهيت من الختمة عدت لتجمع على دفترك الخاص الآيات التي مرت بها الكلمة، ثم تنظر لهذه الآيات مجتمعة وتعيد ترتيبها حسب معناها فتفهم منها شيئا جديدا وتتدبر مراد الله تعالى فيها، فتعرض نفسك على هذا الفهم وتنظر هل أنت عامل به أو تارك، فتحمل نفسك على العمل بما دعاك له القرآن.

خذ مثلا كلمة (المال) في القرآن، وردت كلمة "مال" وما يرتبط بها من أحرف في القرآن الكريم (ستاً وثمانين مرة). (المال، ماليه، الأموال، ماله، أموالكم، أموالهم) هذه المرات الزائدة على الثمانين يمكن أن تنتظم بأربعة عناوين:

أولها: المال زينة ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف:46].

وثانيها: المال امتحان ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:28].

وثالثها: أعطى القرآن المسلم الحرية في كسب المال بشرطين.

1- أن لا يكون الكسب حراماً أو فيه حرام. ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

2-أن لا يصدَّك الكسب عن فرائض الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9].

ورابعها: أعطى القرآن المسلم الحرية في إنفاق المال بشرطين.

1-عدم البخل والشحّ.

2-وعدم السرف والتبذير.

بعد هذا أنفق ما شئتَ حيث شئت: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان:67].

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران:180].

فلا تكن بخيلاً ولا شحيحاً من جهة، ومن جهة أخرى لا تكن مسرفاً ولا مبذراً.

هذا ما فهمته من كلمة المال في القرآن –والله أعلم- ، بإمكانك أن تبحث أنت عن كلمة السجود أو كلمة الشورى أو كلمة اللطف أو كلمة الثبات أو كلمة اللسان أو كلمة الرحمة أو غير ذلك، وقد عرضت لكم في دروس تراويح رمضان لإحدى وعشرين كلمة سمح بها الوقت ، كان العرض تطبيقا عمليا لآلية الكلمة في القرآن لتعين على التدبر.

وأما الآلية الثانية فهي **الموضوع في القرآن:**

إن كنتَ في آلية الكلمة تبحث عن كلمة واشتقاقاتها، فإنك في آلية الموضوع تبحث عن موضوع معيّن، كبحثِك عن موضوع الآباء والأبناء في القرآن فكلما مر بك قصة ولد مع أبيه علَّمت على الآيات، يمر بك إسماعيل مع إبراهيم عليهما السلام، ونوح مع ابنه، ولقمان مع ابنه، وبنات شعيب مع والدهم، ويعقوب مع أبنائه، وآيات تتحدث عن بر الآباء وعن النفقة على الأبناء والوصية بهم وميراثهم.

حتى إذا انتهيت من الختمة عدت لتجمع على دفترك الخاص الآيات التي لها صلة بالموضوع، ثم تنظر لهذه الآيات مجتمعة وتعيد ترتيبها حسب معناها فتفهم منها شيئا جديدا وتتدبر مراد الله تعالى فيها، فتعرض نفسك على هذا الفهم وتنظر هل أنت عامل به أو تارك، فتحمل نفسك على العمل بما دعاك له القرآن.

بإمكانك أن تبحث عن قوانين القرآن في النصر، أو قوانينه في التغيير أو في البقاء للأنفع أو في الصلح أو في التيسير والتعسير، وهكذا. وقد قدمت عام 2008 سلسلة خطب بعنوان قوانين القرآن أو السنن الإلهية في القرآن، كانت تطبيقا عمليا لآلية الموضوع في القرآن وهي منشورة على الموقع ومراجعتها معينة على التدرب على آلية الموضوع في تدبر القرآن.

وأما الآلية الثالثة الأخيرة فهي **السورة من القرآن:**

يمكنك قراءة سورة من القرآن بتؤدة وتفهم وتبصر، بعد انتهائك من قراءتها عد إليها وابحث عن الموضوعات الرئيسة التي تكلمت السورة عنها، دوِّنها ثم استنبط من هذه الآيات والموضوعات المحور الرئيس للسورة، ثم انظر أين أنت من هذه الموضوعات والمحور!.

خذ مثلا سورة الملك فيها ثلاث موضوعات رئيسة إثبات عظمة الله وقدرته، وإقامة البراهين على وحدانية الله، وبيان عاقبة المكذبين الجاحدين للبعث والنشور.

والمحور الرئيس للسورة معالجة موضوع العقيدة شأنها شأن سائر السور المكية.

بإمكانك أنت أن تدرس سائر سور القرآن وتدون ما وصلت إليه على دفترك الخاص وتراجع به العلماء أو تتدارسه مع أهلك وأصحابك ليصير تدبر القرآن مادة سهراتنا ومسامراتنا فنتحلق حوله ونعيش معه.

أيها الإخوة:

هذه ثلاث آليات تعين على تدبر القرآن، ولعلكم تفكرون فتجدون غيرها كثير.

إلى هنا تنتهي سلسلة رمضان لهذا العام (الصيام والقرآن يشفعان – يتدبرون القرآن) وأنا أسأل الله تعالى ألا ينتهي خيرها إلى يوم القيامة لنحيا جميعا مع تدبر القرآن، فالقرآن كلام الله، والسعادة كل السعادة والخير كل الخير لنا أفرادا وأسرا ومجتمعات أن نتمسك به ونتحلق حوله ونعيش معه وله وبه.

يقول الحسن البصري: (الزموا كتاب الله، وتتبَّعوا ما فيه من الأمثال، وكونوا فيه من أهل البصر، رحم الله عبداً عرض نفسه وعمله على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله حمد الله وسأله الزِّيادة، وإن خالف كتاب الله عزَّ وجلَّ عاتب نفسه ورجع من قريبٍ).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»**.

والحمد لله رب العالمين